الألوكة
www.alukah.net

هل في
القرآن كلمات أعجمية؟

د. ثمامة فيصل

هل في القرآن كلمات أعجمية ؟

(دراسة تحليلية لآراء العلماء العرب والمستشرقين)

د. ثمامة فيصل بن أبي المكارم
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية (فرع لكناو)

شبكة الألوكة www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

كانت البلاغة والفصاحة من أبرز الميزات والصفات التي تميز بها العرب قبل ظهور الإسلام ، فكانوا يعتزون بأنفسهم لامتلاكهم قدرة بيانية عجيبة وملكة أدبية مدهشة ، وكانوا يطلقون على غيرهم من الشعوب اسمَ العجم. والحقيقة أنهم كانوا على حق في هذه الدعوى ، فقد أعطاهم الله تلك القدرة وتلك الملكة ، وكلُّ ما ورثناه من أدبهم شعرًا ونثرًا يدل على وصولهم إلى قمة الفصاحة والبلاغة. ونزل القرآن الكريم بلغتهم العربية على رسول عربي منهم عليه الصلاة والسلام ، وتحداهم القرآن بأن يأتوا بسورة واحدة مثل سوره ، فعجزوا عن ذلك. وكان هذا التحدي ساري المفعول إلى يوم القيامة ، فالقرآن معجزة لغوية لم يستطع ولن يستطيع أحد على أن يأتي بسورة واحدة من مثل سوره. فقال الله سبحانه وتعالى: (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين – يونس 38) ، وقال: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين – البقرة 23).

نزل القرآن بلسان عربي مبين ، وأكد الله سبحانه وتعالى على ذلك في القرآن نفسه ؛ حيث قال: (وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين – الشعراء 192- 195) وقال: (وهذا لسان عربي مبين – النحل 103). وعلى الرغم من هذه الآيات الصريحة الدالة على نزول القرآن بلسان عربي مبين ، وقع الاختلاف بين علمائنا من اللغويين والمفسرين حول وجود كلمات أعجمية في القرآن. وفي جانب آخر تناول كثير من المستشرقين هذا الموضوع في كتاباتهم بقصد الطعن في القرآن والنيل من كرامته وإثارة الشك حول أصالته العربية وفصاحته اللغوية. فسوف أستعرض من خلال هذا البحث آراء هؤلاء العلماء العرب والباحثين المستشرقين ونظرياتهم وأدلتهم حول هذا الموضوع.

دراسات العلماء العرب حول هذا الموضوع:

مع أن هذه القضية كانت قد ظهرت في عصر الصحابة رضي الله عنهم ، فأدلى بعضهم آراءَهم تجاهها. ويُعَدُ الإمام الشافعي (ت 204هـ) من أوائل من طرقوا هذا الموضوع من أسلافنا في كتبهم ، فناقشه في كتابه "الرسالة" وعبر فيه عن رأيه. كما تناوله أحدُ معاصريه أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) في كتابه "مجاز القرآن". ومن أبرز المصنفين الذين جاؤا بعدهما وتحدثوا في كتبهم حول هذا الموضوع محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) في تفسيره "جامع البيان في تأويل

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

القرآن"، واللغوي أحمد بن فارس (ت 395هـ) في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائله وسنن العرب في كلامها"، والمفسر الأندلسي عبد الحق بن غالب بن عطية (ت 542هـ) في تفسيره "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" ، وعبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ) في كتابه "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" ، ومحمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) الذي ناقش هذا الموضوع في كتابه "البرهان في علوم القرآن" وقدم قائمة للكلمات القرآنية التي قيل إنها أعجمية.

درس وبحث كثيرٌ من علمائنا الكبار هذا الموضوعَ قبل القرن التاسع الهجري كما رأينا ، ولكنَّ القرنَ التاسع الهجري يُعَدُ أهمَّ قرن من حيث الدراساتُ العربيةُ حوله ، فظهر فيه العالم الموسوعي والكاتب الألمعي عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) الذي ناقش هذا الموضوع في ثلاثة من كتبه وخص له رسالتين بحث فيها آراء العلماء السابقين حوله وأدلى فيها برأيه، وجمع فيها الكلمات الأعجمية الواردة في القرآن. فألف السيوطي رسالته "المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب" وجمع فيها هذه الكلمات ورتبها ترتيبا هجائها ، كما ألف رسالته "المتوكلي" التي نسبها إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله ونَسَّقَ فيها هذه الكلمات حسب اللغات التي وردت فيها. أما كتبه الثلاثة التي ناقش فيها هذا الموضوع بالتفصيل فهي: "الإتقان في علوم القرآن" و"معترك الأقران في إعجاز القرآن" و"المزهر في علوم اللغة وآدابها". وسوف أتحدث عن كتابات المستشرقين في هذ الموضوع أثناء الحديث عن آرائهم إن شاء الله.

أما عدد هذه الكلمات الأعجمية الواردة في القرآن ، فقد عدها الزركشي في "البرهان" 26 كلمة، وعدها السيوطي في "المهذب" 121 كلمة وفي "الإتقان" 125 كلمة وفي "المتوكلي" 101 بحيث بلغ مجموع عددها في كتب السيوطي 132 كلمة. وقرض اثنان من علمائنا قبل السيوطي شعرا جمعا فيه بعضَ هذه الكلمات ، وهما الإمام تاج الدين السبكي (ت 771هـ) والإمام أحمد ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، فذكر السبكي في شعره 27 كلمة وزاد عليها العسقلاني 24 كلمة، ولما جاء السيوطي وناقش هذه الكلمات قرض هو الآخرُ بعضَ الأشعار التي ذكر فيه ما فات السبكيَ والعسقلانيَ من تلك الكلمات. ولما ناقش المستشرقون هذا الموضوع في كتبهم ، زادوا على ما اكتشفه السيوطي وغيره فوصل بها بعضهم إلى 275 كلمة.

ولا خلافَ بين العلماء حول احتواء القرآن على مجموعة من الأعلام الأعجمية. وقد قسم صلاح عبد الفتاح الخالدي الأعلامَ الواردة في القرآن إلى أعلام عربية مثل صالح ومحمد والمدينة ، وأعلام أعجمية مثل إدريس وإبراهيم وبابل وسيناء.[1] وادعى الخالدي أن القرآن يضم 58 علما أعجميا.[2]

---

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن: تعريف وبيان ص 35

[2] المصدر السابق ص 7

وكان قد ذكر قبل الخالدي اللغويُ المعروف من القرن السادس الهجري موهوب بن أحمد الجواليقي في كتابه "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" أن أسماء الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن كلها أعجمية ما عدا أربعة وهم: آدم وصالح وشعيب ومحمد.[3] أما آراء العلماء القدامى والمتأخرين حول وجود كلمات أعجمية في القرآن دون أسماء الأعلام فقد انقسموا إلى جماعتين: جماعة وافقت وجودها في القرآن ، وجماعة رفضت احتواء القرآن عليها أصلا.

موقف العلماء الذين أثبتوا وجود كلمات أعجمية في القرآن:

يُنسبُ إلى بعض الصحابة وبعضٍ من تلاميذهم القولُ بأن القرآن يضم كلماتٍ أعجميةً. فيُروَى عن عبد الله بن عباس (ت 68هـ) وأبي موسى الأشعري (ت 44هـ) رضي الله عنهما أنهما نسبا العديد من كلمات القرآن كالسجيل ، والمشكاة ، واليم ، والطور ، والأباريق ، والاستبرق وغيرها إلى لغات أخرى.[4] وسأناقش في هذا البحث هل كان ابن عباس حقا يؤيد وجودَ كلمات أعجمية في القرآن. وقد نقل ابن الجوزي في "فنون الأفنان" عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت 40هـ) قولَه: (في هذا القرآن من كل لسان)[5]. ونقل عن تلميذين لابن عباس عكرمة بن عبد الله (ت 105هـ) ومجاهد بن جبر (ت 104هـ) قولَهما: (إن في القرآن من غير لسان العرب).[6] ومن التابعين الآخرين الذين أيدوا وجود كلمات أعجمية في القرآن سعيد بن جبير (ت 95هـ) الذي نقل ابنُ الجوزي قولَه: (ما في الأرض لغة إلا أنزلها الله تعالى في القرآن).[7] وقد أورد ابن جرير الطبري عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قولَه: (في القرآن من كل لسان).[8] وتُؤثَر أقوالٌ مماثلة عن التابعيين الجليلين الضحاك بن مزاحم (ت 105هـ)[9] ووهب بن منبه (ت 114هـ).[10]

واستنادا إلى أقوال هؤلاء العلماء وآراء بعض المتأخرين مثل محمد بن سليمان المقدسي المعروف بابن النقيب صاحبِ كتاب: "التحرير والتحبير لأقوال أيمة التفسير" أيّدَ الإمامُ السيوطي وجودَ كلمات أعجمية في القرآن ، بل عدّها من خصائصه ، فنقل عن ابن النقيب قوله: (من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها

---

[3] أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ص 102

[4] المصدر السابق ص 92

[5] أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ص 341

[6] المصدر السابق

[7] المصدر السابق ، وعبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ص 61

[8] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن جـ 1 ص 14 ، والسيوطي: المتوكلي ص 17 ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب 61 ، والإتقان في علوم القرآن ص 937.

[9] السيوطي: المتوكلي ص 17 ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ص 61

[10] السيوطي: المتوكلي ص 17

شيءٌ بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب ، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير).[11] كما استند السيوطي إلى قول عبد الله بن يوسف الجويني (ت 438هــ) الذي قال: (إن قيل إن استبرق ليس بعربي ، وغير العربي من الألفاظ دون العربي في الفصاحة والبلاغة ، فنقول: لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك).[12] ومغزى قوله أن الله عز وجل قد اختار لكتابه أفصح الكلمات وأحسنها وأروعها وأجملها في الوجود وإن كانت من لغات أخرى غير العربية.

ومن أمثلة ما ورد في القرآن من كلمات أعجمية في رأي هذه الجماعة قول العلماء في قوله تعالى: (يؤتكم كفلين من رحمته – الحديد 28) قيل: الكفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة ، وقوله: (إن ناشئة الليل – المزمل 6) قيل: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ ، وقوله: (يا جبال أوبي معه – سبأ 10) قيل: سبحي بلسان الحبشة.[13]

وقد رد علماء هذه الجماعة على العلماء الذين رفضوا وجودَ كلمات أعجمية في القرآن بناء على كثير من الآيات القرآنية التي تدل على نزوله بلسان عربي مبين فقالوا: إن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تُخرِج القرآنَ عن كونه عربيا ، فالقصيدة الفارسية لا تَخرج عنها بلفظة فيها عربية.[14] وأجابوا عن قوله تعالى: (أأعجمي وعربي – فصلت 44) بأن المعنى من السياق: أكلام عجمي ومخاطب عربي.[15]

موقف العلماء الذين رفضوا وجود كلمات أعجمية في القرآن:

رفض معظم العلماء القدامى والجدد وجود كلمات أعجمية في القرآن ما عدا أسماء الأعلام الأعجمية. واستندوا إلى كثير من الآيات القرآنية التي أكدت على نزول القرآن بلسان عربي مبين. فقال الله عز وجل: (إنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين – الشعراء 192- 195) وقال: (وكذلك أنزلناه حكما عربيا – الرعد 37) وقال: (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها – الشورى 7) وقال: (حم. والكتاب المبين. إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون – الزخرف 3) وقال: (قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون – الزمر 28) وقال: (الر، تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون – يوسف 2) وقال: (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد، لعلهم يتقون –

---

[11] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص 938

[12] السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ص 938 ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب المهذب ص 63

[13] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن جــ 1 ص 13

[14] السيوطي: المهذب فيما وقع في القرآن من معرب ص 59

[15] المصدر السابق 60

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

طه 113) وقال: (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته ، قرآنا عربيا لقوم يعلمون – فصلت 3) وقال: (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين – الأحقاف 12).[16]

ومع أن جميع علماء هذه الجماعة خالفوا رأي خصومهم وشددوا النكير عليهم ، إلا أن نظريتين قد ظهرتا وتطورتا بينهم بناء على طريقة استدلالهم وإثبات آرائهم وهما: نظرية موافقة اللغات وتواردها ، ونظرية تعريب الكلمات الأعجمية وتطبيعها.

(1) نظرية موافقة اللغات وتوارُدها:

مفاد هذه النظرية أن جميع الكلمات الواردة في القرآن عربية من حيث أصلها ، وقد تتوافق لغتان أو أكثر في استعمال كلمة واحدة بحيث توجد مثلا في العربية والفارسية معا ، فوجود كلمة من كلمات القرآن في لغة أخرى مثل الفارسية أوالحبشية أوالعبرانية أو غيرها لا يعني بالضرورة أنها أصلا من تلك اللغات وأنْ لا أصل لها في العربية ، بل إن لغة من اللغات قد توافق العربيةَ في استعمالها ، وهذا ما حصل بالنسبة لبعض كلمات القرآن.

وكان الإمام الشافعي من أبرز العلماء الذين قدموا هذه النظرية ، فقال في كتابه "الرسالة": (ولا ننكر إذ كان اللفظ قِيل تَعَلّما أو نُطِقَ به موضوعا أن يوافق لسانُ العجم أو بعضُها قليلا من لسان العرب ، كما يأتفق القليلُ من ألسنة العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع تنائي ديارها ، واختلاف لسانها ، وبُعْدِ الأوامر بينها وبين من وافقتْ بعض لسانه منها).[17] وأكد على هذه النظرية معاصره أبو عبيدة معمر بن المثنى في "مجاز القرآن" حيث قال: (وقد يوافق اللفظُ اللفظَ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها).[18]

وقد وَجّهَ ابنُ جرير الطبري قولَ العلماء كابن عباس وتلاميذه الذين ذكروا لهذه الكلمات معان بلغات أخرى توجيها جميلا ؛ حيث قال إنهم لم ينكروا أصالةَ هذه الكلمات في العربية بل كان قصدُهم ذكرَ معانيها في لغات أخرى بجانب ذكر معانيها في العربية. فما أحسنَ توجيهَهُ لرأي خصومه على هذا الوجه. وفي السياق ذاته قدم الطبري نظريةَ موافقة اللغات حيث قال في مقدمة تفسيره: (و لم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظَ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بجنسين منها؟ كما قد وجدنا اتفاق كثير منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ،

---

[16] محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة ص 46 ، والخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان ص 21

[17] الشافعي: الرسالة ص 44

[18] أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن 17

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس – وغير ذلك مما يتعب إحصاؤه ويمل تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره – مما اتفقت فيه الفارسية والعربية بمعنى واحد).[19]

وكان قد قَدّم قبل الطبري هذه النظريةَ إمامُ النحو أبو الفتح عثمانُ بن جني في كتابه "الخصائص" حيث تحدث عن كلمة التنور وأشار إلى نظرية موافقة اللغات في كثير من الكلمات العربية. فقال ابن جني: (ويقال: إن التنور لفظة اشترك فيها جميعُ اللغات من العرب وغيرهم ، فإن كان كذلك فهو طريف ، إلا أنه على كل حال فعُّول أو فعنول ؛ لأنه جنس ، ولو كان أعجميا لا غير لجاز تمثيله (لكونه جنسا ولاحقا) بالعربي ، فكيف وهو أيضا عربي ؛ لكونه في لغة العرب غير منقول إليها ، وإنما هو وفاقٌ وَقَعَ ، ولو كان منقولا (إلى العربية من غيرها) لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها).[20] وهذا ما ذهب إليه الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606 هــ) حيث قال: (ما وقع في القرآن من نحو المشكاة ، والقسطاس ، والاستبرق ، والسجيل، لا نسلم أنها غير عربية ؛ بل غايته أنَّ وَضْعَ العرب فيها وافَقَ لغةً أخرى كالصابون والتنور، فإن اللغات فيها متفقةٌ).[21]

وقد ذكرتُ فيما سبق أن عبد الله بن عباس يُعَدُّ من القائلين بوجود كلمات أعجمية في القرآن ويُنسَب إليه عَزْوُ كثير منها إلى لغات أخرى. ولكنْ تفيدنا بعضُ الروايات أن ابن عباس رفض بنفسه وجودَ مثل هذه الكلمات في القرآن ، وأنه قدّم نظريةَ موافقة اللغات. فجاء في كتاب "اللغات في القرآن" الذي هو عبارة عن أقوال ابن عباس في تفسير بعض مفردات القرآن برواية ابن حسنون من طريق عبد الملك بن جريج عن ابن عباس ، فجاء فيه عن ابن عباس قولُه في قوله عز وجل: (بلسان عربي مبين) : (بلسان قريش ، ولو كان غير عربي ما فهموه. وما أنزل الله من السماء كتابا إلا بالعبرانية ، وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه. وذلك أن الله عز وجل قال: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين). وليس من ألسنة الأمم أوسعَ من لسان العرب. والقرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب ؛ وربما وافقت اللغةُ اللغاتِ ، وأما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء).[22]

وعندما نلقي نظرة على تفسير ابن عباس لهذه الكلمات ، نجد أنه لم ينكر أصالتَها في العربية، بل قال إن العربية وافقت فيها لغاتٍ أخرى. فيقول مثلا في تفسير قوله عز وجل: (فصرهن إليك –

---

[19] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن جـــ 1 ص 15

[20] أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص جـــ 3 ص 286

[21] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـــ 1 ص 267

[22] عبد الله بن عباس برواية ابن حسنون: كتاب اللغات في القرآن ص 19 ، وانظر حول رواية عبد الملك بن جريج عن ابن عباس: مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص 351

شبكة الألوكة www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البقرة 260) : يعني: قطعهن ، وافقت لغةَ النبطية.[23] ويقول في تفسير قوله تعالى: (والميزان بالقسط – الأنعام 152): يعني بالعدل ، وافقت لغةَ الروم.[24] وهذه الأقوال تدل على ما قَصَدَهُ ابنُ عباس بعَزْوِه هذه الكلماتِ إلى لغات أخرى ، فإنه لم يقصد أنها كلمات أعجمية ، كما زَعَمَ كثير من الباحثين العرب والمستشرقين ، بل كان قَصْدُه أن بعض اللغات الأعجمية وافقت اللغةَ العربيةَ في استعمال هذه الكلمات.

(2) نظرية تعريب الكلمات الأعجمية وتطبيعها:

قدم هذه النظريةَ إمامُ اللغة والنحو من القرن الثالث الهجري أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـــ). وفحوى هذه النظرية أن الكلمات القرآنية التي يقال إنها أعجمية كانت أعجميةً من حيث أصلها ، ثم استعارها العربُ وطبّعوها وأخضعوها لمعاييرهم البيانية وقوانينهم اللغوية قبل نزول القرآن بفترة طويلة ، فصارت عربية قلبا وقالبا ، ولما نزل القرآن واستُعْمِلَتْ فيه فإنها كانت جزءا لا يتجزأ من اللغة العربية. وعلى هذا لا يصح القولُ إن القرآن يضم كلماتٍ أعجميةً ، بل الصواب أن كل ما يحويه القرآن من الكلمات عربيةٌ.

قال أبو عبيد موضحا رأيه: (والصواب من ذلك عندي – والله أعلم – مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية – كما قال الفقهاء – إلا أنها سقطت للعرب ، فأعربتها بألسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ؛ فصارت عربية. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه بكلام العرب).[25] فلما صارت هذه الكلمات أعجمية بعد خضوعها لقوانين العربية بطلتْ دعوى القائلين بأن القرآن يضم كلمات أعجمية. ومع تقديم هذه النظرية حاول أبو عبيد التوفيق بين القولين ورأى أن كلا الرأيين صحيح حيث قال: (فمن قال أنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق).[26] فيقصد أبو عبيد بهذا القول أن هذه الكلمات كانت أعجمية من حيثُ أصلُها قبلَ دخولها في العربية ؛ إلى أن دخلت فيها وشاع فيها استعمالها ، فكانت عربية وقتَ نزول القرآن.

ووافق ابنُ فارس أبا عبيدٍ في هذا الرأي وأيده في "الصاحبي" حيث قال: (فالقول إذن ما قاله أبو عبيد. وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره).[27]

---

[23] عبد الله بن عباس برواية ابن حسنون: كتاب اللغات في القرآن ص 22

[24] المصدر السابق ص 27

[25] أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص 33 ، والجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ص 92

[26] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ص 33

[27] المصدر السابق

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

وقد وضح مفسرٌ من القرن السادس الهجري عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 542هـ) هذه النظريةَ في مقدمة تفسيره "المحرر الوجيز" بشيء من التفصيل حيث قال: (قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: والذي أقوله إن القاعدة والعقيدة هي أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، فليس فيه لفظةٌ تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ وما جرى مجراها فإنه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعضُ مخالطة لسائر الألسنة بتجارات وبرحلتي قريش ، وكسفر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجةً في اللغة ، فعلقت العربُ بهذا كله ألفاظا أعجمية غيرت بعضَها بالنقص من حروفها ، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ؛ حتى جرتْ مجرى العربي الصريح ، ووقع بها البيانُ ، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن).[28]

فأشار ابن عطية إلى خلفية دخول هذه الكلمات الأعجمية في اللغة العربية واستعمال العرب لها في كلامهم قبل مجيء الإسلام ؛ حتى جرت مجرى العربي الصريح. وقد أشار إلى هذه النظرية مفسران من نفس القرن السادس الهجري وهما الزركشي وابن الجوزي أثناء شرحهما بعضَ هذه الكلمات الواردة في القرآن. فيقول الزركشي عند تفسيره كلمةَ (مقاليد) في قوله تعالى: (له مقاليد السماوات والأرض – الزمر 63): (والكلمة أصلها فارسية. فإن قلتَ: ما للكتاب العربي المبين وللفارسية؟ قلتُ: التعريب أحالها عربية).[29]

أما ابن الجوزي فتحدث في تفسيره "زاد المسير" عن كلمة دينار في تفسير قوله تعالى: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار – آل عمران 75) ، ونقل عن شيخه أبي منصور اللغوي قوله: (الدينار فارسي معرب ، وأصله: دِنّار ، وهو وإن كان معربا فليس تَعرف له العربُ اسما غير الدينار، فقد صار كالعربي ، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه ؛ لأنه خاطبهم بما عَرفوا).[30]

وناقش قبل هؤلاء المفسرين اللغويُ المعروفُ محمدُ بن الحسن بن الدريد (ت 321هـ) قضيةَ التعريب في كتابه "جمهرة اللغة" ، وعقد فيه بابا بعنوان: (باب ما تكلمت به العربُ من كلام العجم حتى صار كاللغة)[31] ، وذكر فيه بعض الكلمات الأعجمية التي كثر استعمالها في العربية ؛ حتى

---

[28] أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جـ 1 ص 51

[29] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ 5 ص 318

[30] ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير جـ 1 ص 409

[31] أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة جـ 1 ص 1322

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

صارت عربية. وقال ابن دريد ضمن حديث عن كلمة جوهر في كتابه: (وجوهر فارسي معرب ، وقد كثر ؛ حتى صار كالعربي).[32]

وعندما ندرس الكلمات القرآنية التي قيل إنها أعجمية نجد أن جميعها كانت قد خضعت التعريب والتطبيع حسب معايير اللغة العربية وقوانينها قبل بعثة الرسول عليه السلام ؛ حتى صارت عربية و لم تعد أعجمية. وهكذا بطلت دعوى العلماء العرب والمستشرقين الذين قالوا إن القرآن يضم كلماتٍ أعجميةً. والحقيقة أن آراء اللغويين الغربيين حول تطبيع الكلمات المستعارة في لغة ما أيضا تدعم هذه النظريةَ ، فيمكن الرجوع إلى كتاب A new English Dictionary on Historical Principles للغوي البريطاني جيمس أيه أيتش موريه (James A. H. Murray) (ت 1915م)[33] ، وكتاب On the Study of Words للكاتب الإرلندي ريتشارد ترنتش (Richard Trench) (ت 1886م)[34]

موقف المستشرقين حيال هذا الموضوع:

ظل القرآنُ الكريم وحياةُ الرسول عليه السلام من أهم الموضوعات التي تناولها المستشرقون بحثًا ودراسةً ونقدًا وتحليلاً. وبما أن القرآن هو المصدر الرئيس والمرجع الأصيل للشريعة الإسلامية السمحة ، فإن المستشرقين ناقشوا في كتاباتهم مختلف النواحي اللغوية والتاريخية والعقدية الخاصة به ، ووجهوا إليها نقدا لاذعا بدافع الحقد والضغينة التي يكنونها في صدورهم ضد الإسلام والمسلمين.

أما بالنسبة لموقفهم تجاه موضوع احتواء القرآن على كلمات أعجمية ، فحاول كثير منهم إثباتَ وجود عدد كبير منها في القرآن ، وَسَعَوا بذلك إلى إثارة الشك في إعجازه اللغوي وأصالته العربية ، ونسبوا هذه الكلمات إلى لغات أخرى بناء على اكتشافاتهم ودراساتهم التاريخية الحديثة حول اللغات السامية. وأظهروا اهتماما خاصا بهذه الكلمات ، وحاولوا دراستها دراسة علمية وفنية؛ ليثبتوا أن دعواهم باحتواء القرآن على كلمات أعجمية ليست واهنة وضعيفة ، بل إنها مبنية على دراسة علمية ولغوية وتاريخية.

أما بداية الدراسات الاستشراقية حول هذا الموضوع فتعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ فمن أوائل المستشرقين الذين تناولوه المستشرق ألوييز اسبرنجر (Aloys Sprenger) (ت 1893م) الذي كان سكرتير الجمعية الآسوية في بنغال ، ونشر في مجلتها مقالا حول هذه الكلمات،[35]

---

[32] المصدر السابق جـــ ص 1175

[33] انظر: جيمس أيه أيتش موريه: A new English Dictionary on Historical Principles جـــ 1 ص 19

[34] انظر: ريتشارد ترينتش: On the Study of Words ص 254

[35] انظر: ألوييز اسبرنجر: Foreign Words Occurring in the Quran ، مجلة الجمعية الآسوية لبنغال العدد 21 السنة 1852م

والمستشرق الألماني سيغموند فرانكيل (Siegmund Fraenkel) (ت 1909م) الذي ألف كتابا بعنوان: الكلمات الأجنبية في القرآن.[36] ورودولف دووراك (Rudolf Dvorak) (ت 1920م) الذي صنف كتابا حول هذا الكلمات الفارسية المستعملة في القرآن[37] ، وثيودور نولديكيه (Theodor Noldeke) (ت 1930م) الذي صنف كتابه المعروف "تاريخ القرآن" وناقش فيه وفي كتاباته الأخرى هذا الموضوع. واستمرت عنايتهم به ؛ حتى جاء الباحث المستشرق المعروف آرثر جيفري (Arthur Jeffery) (ت 1959م) الذي ألف كتابا بعنوان: The Foreign Vocabulary of the Qur'an (الكلمات الأعجمية في القرآن). ونال هذا الكتاب قبولا واسعا لدى المستشرقين. وقد بنى جيفري دعواه التي قدمها في هذا الكتاب على كتابات الإمام السيوطي التي سبق ذكرها في هذا البحث ، وأضاف إلى الكلمات التي أوردها السيوطي وغيره عددا آخر من الكلمات ، ووصل بها إلى نحو 256 كلمة ، وادعى أنها ليست عربيةَ الأصل استنادا إلى البحوث اللغوية والدراسات التاريخية والأثرية الحديثة. وسأناقش فيما يلي بعضَ النقاط الخاصة بدراسات المستشرقين حول هذا الموضوع.

رأينا فيما سبق أن الإمام السيوطي رتب هذه الكلمات ترتيبا أبجديا في رسالته "المهذب" ورتبها حسب اللغات التي تنسب إليها في رسالته "المتوكلي". وقدم المستشرقون تصنيفا جديدا لهذه الكلمات الواردة في القرآن. فكتب المستشرق ألفونس مينغانا (Alfonse Mingana) (ت 1937م) مقالا بعنوان: "تأثير اللغة السريانية على أسلوب القرآن" وقسم فيه "العناصر الأعجمية" الواردة في القرآن إلى ستة أنواع: أسماء الأعلام مثل سلمان وفرعون وإسحق ؛ والمصطلحات الدينية مثل دين ومسيح وكاهن ؛ وكلمات عامة مثل القرآن والحسبان والمهيمن ؛ وكلمات مبنية على قواعد اللغة السريانية مثل صلوة وحيوة وبنات ؛ وتركيب الجمل مثل (ثم أنتم تقتلون أنفسكم) ؛ والإشارات إلى الأحداث التاريخية مثل قصة الإسكندر أو ذي القرنين.[38]

بينما قسمها جيفري إلى ثلاثة أنواع: كلمات أعجمية بحتة لا أصل لها في العربية مثل: فردوس ونمارق واستبرق وزنجبيل ؛ وكلمات سامية الأصل التي يمكن البحث عن أصولها الثلاثية في اللغة العربية ولكنها لم تُستعمل في القرآن في معناها العربي الأصيل مثل: بارك ودرس وصوامع وفاطر، وكلمات أصلها عربية وتستعمل فيها ولكن يغلب على معانيها القرآنية صبغةُ اللغات السامية الأخرى مثل: نفس وروح ونور.[39]

---

[36] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع: آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل (حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، جامعة القاهرة) ص 421

[37] انظر الموقع الرسمي لموسوعة : Encycopedia Iranica ، عنوان الصفحة:
http://www.iranicaonline.org/articles/austria-ii-iranian-studies-in-2

[38] ألفونس مينغانا: Syriac Influence on the Style of the Kuran ص 94

[39] آرثر جيفري: The Foreign Vocabulary of The Qur'an ص 39

وقدم المستشرق مارتين زميث (Martin Zammit) تقسيما آخر لهذه الكمات ، فقسمها حسب موضوعات ومجالات مختلفة مثل كلمات دينية وقانونية وسياسية وكلمات خاصة بالمأكولات وفن العمارة والحيوانات والكتابة والأدوات والآلات والتجارة والخمر وغيرها.[40]

واختلف المستشرقون حول مدى تأثير اليهودية والنصرانية في القرآن ، وذهبوا فيه مذهبين ، فقالت جماعة منهم إن تأثير اليهودية في لغة القرآن وفي فكر محمد ورسالته عليه السلام كان أقوى وأشد من تأثير أي ديانة أخرى[41] ، بينما ذهبت جماعة منهم إلى أن الديانة المسيحية أثرت في لغة القرآن بشكل أوسع وأعمق من ديانات أخرى.[42]

وقد ناقش جيفري في كتابه الكلمات التي نسبها السيوطي إلى لغات أخرى كالهندية والنبطية والزنجية ، وادعى أن العلماء المسلمين لم يستطيعوا شرحها فاعتمدوا على احتمالاتهم وافتراضاتهم وردوها إلى لغات أخرى لإخفاء جهلهم بها[43] ، مع أن كثيرا من الادعاءات التي اعتمد عليها جيفري وغيره من المستشرقين في بحوثهم ودراساتهم في عَزْو كثر من هذه الكماتِ إلى لغات أخرى هي أيضا ادعاءات افتراضية واحتمالية.[44]

ومن جرأة بعض المستشرقين في دعواهم حول وجود كلمات أعجمية في القرآن شكُهم في أصالة بعض الكلمات العربية الواردة في القرآن التي أصالتها العربية ثابتة وواضحة لكل من له أدنى إلمام بالعربية. فيقولون على سبيل المثال أن كلمة "قرآن" ليست عربية الأصل بل هي مأخوذة من كلمة "قَرْيَنْ" باللهجة السريانية للغة الآرامية ، وانتقلت منها إلى العربية.[45] مع أننا نعرف أن هذه الكلمة مشتقة من "قرأ" بمعنى الجمع والضم ، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ، والقرآن مصدر على وزن فُعلان كالغفران والشكران ، وسمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر مثل الوحي بمعنى الموحى.[46] وهناك آراء أخرى للعلماء حول أصل هذه الكلمة في اللغة العربية.

---

[40] مارتين آر زميث: A comparative Lexical Study of Qur'anic Arabic ص 57

[41] ناصر المنيع: آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل (حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، جامعة القاهرة) ص410 ، ومينغانا: Syriac Influence on the Style of the Kuran ص80 ، وتوماس باتريك هيوز: Dictionary of Islam ص 515

[42] مينغانا: Syriac Influence on the Style of the Kuran ص 80 و86

[43] آرثر جيفري: The Foreign Vocabulary of the Qur'an ص 19 و28

[44] المصدر السابق ص 17 و18

[45] كريستوف لوغزيمبورغ: The Syro-Aramaic Reading of the Koran ص 70

[46] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص 14

والفرق بين موقف العلماء العرب الذين أثبتوا وجود كلمات أعجمية في القرآن وموقف المستشرقين الذين ذهبوا هذا المذهب أن العلماء والمفسرين العرب عزوا هذه الكلماتِ إلى لغات أخرى بهدف شرح معانيها وتوضيح دلالاتها ، فكل ما رُوِي في هذا الباب عن ابن عباس وتلاميذه ومن جاء بعدهم من العلماء والمفسرين واللغويين العرب لم يقصدوا بذلك إلا استجلاءَ مفردات القرآن وفهمَ آياته الكريمة دون أن يرموا بذلك إلى إثبات أي عيب أو نقص في بنية القرآن اللغوية وأصالتها العربية والعياذ بالله. أما هؤلاء المستشرقون فكان قصدهم الوحيد وراء دراستهم هذا الموضوعَ الطعنَ في القرآن وفي الرسول عليه السلام بدعوى أن الرسول عجز عن إبلاغ رسالته بلغته العربية الأم فلجأ إلى لغات أخرى. وادعى بعضُهم أن الرسول عليه السلام اتكل لوضع القرآن على الكتب السماوية السابقة المتوفرة لديه آنذاك ، وتعلم هذه الكلمات من الأحبار والرهبان وأبناء الجاليات الأخرى القاطنة في مكة والمدينة ، أو تعلمها خلال رحلاته الخارجية قبل البعثة ؛ فاستعملها في كتابه الذي وضعه هو بنفسه والعياذ بالله.[47] ولكن الذي قلتُه فيما سبق أثناء حديثي عن نظرية تعريب الكلمات الأعجمية وتطبيعها قبل نزول القرآن حسب قوانين اللغة العربية واضحٌ كلَ الوضوح، ويكفي لدحض هذه الدعاوى الباطلة للمستشرقين وتفنيد آرائهم الواهنة.

المصادر العربية:

1. القرآن الكريم.
2. أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية – بيروت 1418هـ 1997م.
3. صلاح عبد الفتاح الخالدي: الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان ، دار القلم – دمشق.
4. عبد الحق بن غالب بن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت 1422هـ 2001م.
5. عبد الرحمن بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ، الكتب الإسلامي.
6. عبد الرحمن بن الجوزي: فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية – بيروت 1408هـ 1987م.
7. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد - المدينة المنورة.
8. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المتوكلي ، تقديم وتعليق: ويليم بيل (رسالة الدكتوراه – جامعة ييل 1924م) ، Nile Mission Press – القاهرة.
9. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، الطبعة الثالثة.

---

[47] محمد خليفة: The Sublime Qur'an ص 10 ، وتشارلز كتلر توري: The Jewish Foundation of Islam ص 4

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

10. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، تحقيق: الدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، صندوق إحياء التراث الإسلامي.
11. عبد الله بن عباس برواية ابن حسنون: كتاب اللغات في القرآن ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة الرسالة – القاهرة 1365هـ 1946م.
12. عثمان بن جني: الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية – القاهرة.
13. محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية – بيروت.
14. محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية.
15. محمد بن الحسن بن دريد: جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير البعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت 1987م.
16. محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، مكتبة العبيكان – الرياض 1418هـ 1998م.
17. معمر بن المثنى: مجاز القرآن ، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي – القاهرة.
18. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة – القاهرة 1421هـ 2000م.
19. موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ، أبو منصور: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق: ف. عبد الرحيم ، دار القلم – دمشق 1410هـ 1990م.
20. ناصر بن محمد بن عثمان المنيع: آثار مدرسة الاستشراق الألمانية في الدراسات القرآنية عرض وتحليل ، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة – القاهرة 1430هـ 2009م.

المصادر الإنجليزية:

1. Alloys Sprenger. *Foreign Words Occurring in the Quran*, published in Journal of Asiatic Society of Bengal Vol. XXI, 1852. Calcutta: 1853.
2. Arthur Jeffery. *The Foreign Vocabulary of the Quran*. Baroda: 1938.
3. Charles Cutler Torrey. *The Jewish Foundation of Islam*. New York: 1933.
4. Christoph Luxenberg. *The Syro-Aramaic Reading of the Koran*. Berlin: 2007.
5. James A. H. Murray. *A new English Dictionary on Historical Principles*. Oxford: 1888.
6. Martin R. Zammit. *A Comparative Lexical Study of Quranic Arabic*. Leiden, Boston, Koln: 2002.
7. Mohammad Khalifa. *The Sublime Quran and Orientalism*. Karachi: 1989.
8. Richard Chenevix Trench. *On the Study of Words*. New York: 1885.
9. Thomas Ptrick Hughes. *Dictionary of Islam*. New Delhi: 1995.